

مفهوم المسؤولية الاجتماعية في الجوامع الحديثة (دراسة نصية)

م.م محمد حمزة صالح الخالدي

بأشراف البروفسور / علي رضا طيبي

جامعة طهران / كلية المعارف والفكر الاسلامي

mohammedhamzasaleh11@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم المسؤولية الاجتماعية في الجوامع الحديثة دراسة نصية تحليلية، من خلال استقراء الأحاديث النبوية الواردة في هذه الجوامع والكشف عن دلالاتها الاجتماعية والأخلاقية وقد اعتمد البحث المنهج النصي التحليلي مستنداً إلى مصادر السنة النبوية وشروحها مع الاستفادة من الدراسات الحديثة ذات الصلة.

وتوصل البحث إلى أن السنة النبوية قدّمت تصوراً شاملاً للمسؤولية الاجتماعية يقوم على مبدأ شمول التكليف وتوزيع المسؤوليات بين أفراد المجتمع وربطها بالإيمان والجزاء كما بيّن أن المسؤولية الاجتماعية في الإسلام تمتد لتشمل المسؤولية الأخلاقية، والذاتية، والأسرية، والمجتمعية، والوطنية، في إطار متكامل يهدف إلى تحقيق التكافل والعدل والاستقرار الاجتماعي.

وأكدت الدراسة أن الجوامع الحديثة تمثل مادة علمية غنية لإبراز البعد الاجتماعي في الخطاب النبوي، وأن تفعيل هذه القيم في الواقع المعاصر يُعد ضرورة ملحة لمواجهة التحديات الأخلاقية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: (المسؤولية الاجتماعية، الجوامع الحديثة، السنة النبوية).

The Concept of Social Responsibility in Hadith Collections (A Textual Study)

Mohammed Hamza Saleh Al-Khalidi

Supervised by Professor Ali Reza Tabibi

University of Tehran / Faculty of Islamic Studies and Thought
mohammedhamzasaleh11@gmail.com

Abstract

This research aims to study the concept of social responsibility in hadith collections through a textual and analytical approach. This is achieved by examining the Prophetic hadiths found in these collections and revealing their social and ethical implications. The research employs a textual and analytical methodology, relying on the sources of the Prophetic Sunnah and its commentaries, while also drawing upon relevant modern studies.

The research concludes that the Prophetic Sunnah presents a comprehensive conception of social responsibility based on the principle of the universality of obligation and the distribution of responsibilities among members of society, linking it to faith and reward. It also demonstrates that social responsibility in Islam extends to include moral, personal, familial, communal, and national responsibilities, within an integrated framework aimed at achieving solidarity, justice, and social stability. The study affirmed that hadith collections represent a rich source of scholarly material for highlighting the social dimension of prophetic discourse, and that activating these values in contemporary reality is an urgent necessity to confront the ethical and social challenges facing modern societies.

Keywords: (Social responsibility, hadith collections, Prophetic tradition)

المقدمة

تُعَدُّ المسؤولية الاجتماعية من القيم الجوهرية التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية إذ تُسهم في تنظيم العلاقات بين الأفراد وترسيخ مبادئ التعاون والتكافل والعدل وتحقيق الاستقرار الاجتماعي وقد جاء الإسلام بمنظومة متكاملة تُؤسّس لهذا المفهوم مستندة إلى مبادئ الاستخلاف، والأمانة، وتحميل الإنسان مسؤولية أفعاله وآثارها في محيطه الاجتماعي وهو ما أكدّه القرآن الكريم، وبينته السنة النبوية الشريفة بياناً عملياً وتطبيقياً.

وتُعَدُّ السنة النبوية المصدر التشريعي الثاني في الإسلام وقد شكّلت مرجعاً أساسياً في بناء السلوك الفردي والجماعي حيث اشتملت على توجيهات أخلاقية واجتماعية واسعة تُبرز ملامح المسؤولية الاجتماعية في مختلف صورها مثل: المسؤولية تجاه الأسرة، والجيران، والضعفاء، والمجتمع، والسلطة، بل وتجاه الإنسانية عموماً وقد تجلّى هذا بوضوح في نصوص الأحاديث النبوية التي حفلت بها الجوامع الحديثية، والتي لم تقتصر على بيان الأحكام التعبدية، وإنما تناولت شؤون الحياة الاجتماعية بكل أبعادها.

وتتميّز الجوامع الحديثية بكونها شاملة لأبواب العقائد، والعبادات، والمعاملات، والآداب، مما يجعلها مجالاً خصباً لدراسة مفهوم المسؤولية الاجتماعية دراسة نصية، تكشف عن الدلالات الاجتماعية الكامنة في الخطاب النبوي وتُبرز الرؤية الإسلامية المتكاملة لبناء الفرد والمجتمع ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الموسوم بـ «مفهوم المسؤولية الاجتماعية في الجوامع الحديثية (دراسة نصية)»، الذي يسعى إلى تحليل النصوص الحديثية الواردة في هذه الجوامع واستنباط أبعاد المسؤولية الاجتماعية فيها وبيان أثرها في ترسيخ القيم الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

إشكالية البحث

على الرغم من الحضور الكثيف لمفهوم المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية، وتنوّع تجلّياته في نصوص الجوامع الحديثية، إلا أن هذا المفهوم غالباً ما ورد في الدراسات السابقة إمّا ضمن معالجات فقهية عامة، أو في إطار دراسات اجتماعية معاصرة ذات طابع نظري، دون الوقوف وقفة تحليلية نصية معمّقة عند الخطاب الحديثي ذاته، ولا سيما في الجوامع الحديثية التي تُعد من أشمل مصادر السنة وأغزرها مادةً في أبواب العقائد والعبادات والمعاملات والآداب.

وتتمثل مشكلة البحث في غياب دراسة نصية متخصصة تُعنى باستقراء الأحاديث النبوية الواردة في الجوامع الحديثية، وتحليل دلالاتها الاجتماعية، واستنباط الأبعاد المفهومية للمسؤولية الاجتماعية كما صاغها الخطاب النبوي، وبيان الأسس العقدية والأخلاقية

والتشريعية التي قامت عليها كما يلاحظ أن كثيرًا من الأحاديث التي تعالج قضايا المجتمع، كتحمل الأمانة، والتكافل الاجتماعي، والإصلاح بين الناس، وتحمل المسؤولية الفردية والجماعية، لم تُجمع في إطار مفهومي واحد يُبرز تكامل الرؤية النبوية للمسؤولية الاجتماعية.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

كيف عالجت الجوامع الحديثية مفهوم المسؤولية الاجتماعية من خلال نصوصها، وما أبرز الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية التي يُمكن استخلاصها من الخطاب النبوي في هذا المجال؟
أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أهمها:

١. بيان مفهوم المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال نصوص الجوامع الحديثية.
٢. إبراز شمولية الخطاب النبوي في معالجة القضايا الاجتماعية وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع.
٣. تحليل النصوص الحديثية ذات الصلة بالمسؤولية الاجتماعية دراسة نصيةً دلالية.
٤. استنباط القيم الاجتماعية والأخلاقية التي رسّختها السنة النبوية في بناء المجتمع الإسلامي.
٥. الإسهام في ربط التراث الحديثي بالواقع الاجتماعي المعاصر، وإبراز صلاحيته لكل زمان ومكان.
٦. إثراء الدراسات الحديثية والاجتماعية ببحث علمي يُعالج مفهوم المسؤولية الاجتماعية من منظور نصي.

أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب علمية ومعرفية، من أبرزها:

١. يسهم البحث في تأصيل مفهوم المسؤولية الاجتماعية تأصيلاً شرعياً من خلال السنة النبوية، ويُبرز دور الجوامع الحديثية في بناء القيم الاجتماعية، مما يثري حقل الدراسات الحديثية والدراسات الاجتماعية الإسلامية.
٢. حيث يقدم قراءة نصية تحليلية للأحاديث النبوية، تكشف عن الأبعاد الاجتماعية في الخطاب النبوي، وتُبرز تكامل التشريع الإسلامي بين الجانب التعبدي والجانب الاجتماعي.
٣. في ظل ما يشهده الواقع المعاصر من ضعف في القيم الاجتماعية وتراجع في روح المسؤولية الجماعية، يبرز هذا البحث أهمية استلزام التوجيهات النبوية في معالجة هذه الظواهر، وبناء مجتمع قائم على التكافل والتعاون.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج النصي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة الدراسة.

الدراسات السابقة

- دراسة محمود نايف (٢٠٢٤)، بعنوان: استقراء المسؤولية المجتمعية في السنة النبوية دراسة حديثة موضوعية

هدفت الدراسة إلى استقراء مفهوم المسؤولية المجتمعية في السنة النبوية وبيان أسسه الشرعية وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية من خلال دراسة حديثة موضوعية تعتمد جمع النصوص النبوية ذات الصلة وتحليلها في إطار مفهومي متكامل وانطلقت الدراسة من إشكالية تتمثل في إبراز مدى عناية السنة النبوية بترسيخ الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع، في ظل التصورات المعاصرة التي غالباً ما تحصر هذا المفهوم في الأطر المؤسسية أو الاقتصادية.

اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي الموضوعي، حيث قام الباحث بتتبع الأحاديث النبوية التي تعالج شؤون المجتمع، مثل: التكافل الاجتماعي، ورعاية الفقراء والمحتاجين، وتحمل الأمانة، والإحسان إلى الجار، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسؤولية تجاه الأسرة والمجتمع العام. كما استعان الباحث بشرح العلماء وشُراح الحديث في تفسير النصوص وتحليل دلالاتها، مع التركيز على البعد الاجتماعي في الخطاب النبوي.

وتوصلت الدراسة إلى أن المسؤولية المجتمعية في السنة النبوية مفهوم شامل يقوم على مبدأ التكامل بين الفرد والمجتمع ويؤكد أن كل فرد مسؤول عن محيطه بحسب قدرته وموقعه استناداً إلى القاعدة النبوية: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»، كما بينت أن السنة النبوية لم تطرح المسؤولية المجتمعية بوصفها التزاماً أخلاقياً مجرداً، بل جعلتها واجباً شرعياً مرتبطاً بالإيمان، ومقترناً بالجزاء والثواب والعقاب.

وأبرزت الدراسة أن السنة النبوية أسهمت في بناء مجتمع متماسك قائم على التعاون والتكافل والعدل وأن المسؤولية المجتمعية تُعد من المقاصد الكبرى للتشريع الإسلامي لما لها من دور في حفظ النظام الاجتماعي وتحقيق الاستقرار، وأوصت الدراسة بضرورة تفعيل القيم المستمدة من السنة النبوية في الواقع المعاصر وربط الدراسات الاجتماعية الحديثة بالتراث الحديثي لما يحمله من حلول أصيلة للتحديات الاجتماعية الراهنة.

- دراسة حمد بن عبد الله الصقعي (٢٠٢٠)، بعنوان: القيم الاجتماعية من خلال السنة النبوية - الأدب المفرد من صحيح البخاري أنموذجاً.

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف القيم الاجتماعية المستمدة من السنة النبوية من خلال نصوص مختارة من كتاب الأدب المفرد من صحيح البخاري، وذلك لإبراز مساهمة السنة في بناء منظومة القيم الاجتماعية التي تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع وترسخ تكافله وتعاونه وقد انطلقت الدراسة من فرضية مفادها أن السنة النبوية تشتمل على مجموعة من النصوص التي تُعالج القضايا الاجتماعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وتُسهم في تشكيل سلوكيات وقيم مجتمعية ذات بعد تربوي وأخلاقي.

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص الحديثية، من خلال جمع الأحاديث الواردة في كتاب الأدب المفرد من صحيح البخاري التي تتعلق بالقيم الاجتماعية، ثم تحليلها دلاليًا وتقويمها من خلال استجلاء مضامينها الاجتماعية، وربطها بالسياق العام لتعاليم الإسلام في تنظيم العلاقات الإنسانية. كما اعتمدت الدراسة على مخططات تحليلية لاستنباط القيم الأساسية من النصوص، مثل التعاون، والرحمة، والعدل، والاحترام المتبادل، والصدق، والوفاء بالعهد، وغيرها من قيم تؤسس لرؤية اجتماعية متكاملة.

وأظهرت نتائج الدراسة أن كتاب الأدب المفرد من صحيح البخاري يحتوي على ثروة نصية قيمة تتضمن توجيهات نبوية صريحة ومتنوعة تنطلق من واقع الحياة البشرية، وتُعالج العلاقات الاجتماعية في أبعادها المختلفة، سواء في إطار الأسرة، أو الجوار، أو العلاقات العامة بين الناس. كما بينت الدراسة أن هذه النصوص لا تكتفي ببيان القيم بصورة نظرية، بل تُقدّم نماذج سلوكية تُحفّز على التطبيق العملي، مما يجعل السنة النبوية مصدرًا فاعلاً في تشكيل القيم الاجتماعية، ومحفزًا لبناء مجتمع تسوده المودة والتعاون والمسؤولية المشتركة.

وأشارت الدراسة إلى أن الاهتمام بالقيم الاجتماعية في السنة النبوية ليس محدودًا بزمان دون زمن، بل هو منهج متجدد يصلح لكل زمان ومكان، لما يتسم به من عمق إنساني وتوازن أخلاقي يلبي حاجات المجتمعات إلى السلم الاجتماعي والاستقرار، ويُسهم في مواجهة التحديات الاجتماعية الراهنة.

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية

١. مفهوم المسؤولية

(أ) المسؤولية لغةً

تعود مادة المسؤولية إلى الجذر اللغوي (س - أ - ل)، وهو أصل واحد تدور معانيه حول الطلب والاستفهام والمساءلة، يقال: سأل يسأل سؤالًا ومسألةً، وتدل هذه المادة على جملة من المعاني، منها: طلب المعرفة، والاستفسار عن الشيء، والمحاسبة عليه، والأخذ به. كما يُقال: سألته عن الأمر أي حاسبه عليه، وسألته الوعد أي طلب منه الوفاء به وإنجازه،

ويُستفاد من هذه الدلالات اللغوية أن مفهوم المسؤولية يرتبط بطلب الجواب، والمساءلة، وتحميل الإنسان تبعة ما يصدر عنه من أفعال أو أقوال (الحسيني دون تاريخ، ١٥٧/٢٩ - ١٦٠).

(ب) المسؤولية اصطلاحاً

يرتبط مفهوم المسؤولية في الاصطلاح ارتباطاً وثيقاً بجملة من القيم الأساسية، في مقدمتها العدل، والأخلاق، والمساواة، والنظام الاجتماعي، إذ لا يمكن تصور المسؤولية بمعزل عن هذه المرتكزات القيمية. وقد عرّفها المعجم الوسيط بأنها: «حالٌ أو صفةٌ من يُسأل عن أمرٍ تقع عليه تبعته، فيقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل»، كما تُطلق المسؤولية في بعدها الأخلاقي على التزام الشخص بما يصدر عنه من قولٍ أو فعل (أنيس وآخرون ١٩٧٢، ٤٢٦).

وفي تعريفٍ أكثر شمولاً، أن المسؤولية هي: «تحمل الشخص نتائج التزاماته وقراراته واختياراته من الناحيتين الإيجابية والسلبية، وذلك أمام الله تعالى في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة» (يالجن ١٩٧٧، ١٣٣).
ويُبرز هذا التعريف البعد التكاملي للمسؤولية، حيث يجمع بين البعد الديني والأخلاقي والاجتماعي، ويجعل الإنسان محاسباً عن أفعاله في مستويات متعددة، وهو ما ينسجم مع الرؤية الإسلامية الشاملة للمسؤولية الفردية والاجتماعية.

٢. مفهوم المسؤولية في السنة النبوية

يأتي مفهوم المسؤولية في السنة النبوية منسجماً مع ما ورد في القرآن الكريم، إذ صوّرت لنا الأحاديث النبوية أن المسؤولية ملازمة للإنسان ملازمة لا ينفك عنها وتشمل جميع مناحي الحياة كما أن الشعور بالمسؤولية يُعدّ أحد الجوانب الأساسية للتربية الأخلاقية في الإسلام فلا تتفصل المسؤولية عن البناء الخُلقي للمسلم بل تتكامل معه لكونها جزءاً من المنظومة التربوية العامة للفرد المسلم وتسهم في إبراز مختلف أبعاد شخصيته الانفعالية والمعرفية والاجتماعية.

وقد ورد مفهوم المسؤولية - بأشئاقاء مختلفة - في أحاديث عدة للنبي صلى الله عليه وسلم، منها: ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمر الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، وعبدُ الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته» (البخاري ٢٠٠٢، ٨٢/١).

وهذا الحديث النبوي جاء ليبين المنهج التربوي للمسؤولية عن كل فرد مهما كان دوره بسيطاً ومهما كان حجم هذه المسؤولية ويوضح هذا الحديث أن كل إنسان راعٍ فيما استرعاه الله عليه ومسؤول عما تحت يده من شؤون رعيته وأنه محاسب عليه إن أداه بحقه، أو فرط فيه، قال ابن بطال: «الراعي: هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، فكل من كان تحت نظره شيء، فهو مطلوب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته، فإن وقى ما عليه من الرعاية؛ حصل له الحظ الأوفر، والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك؛ طالبه كل أحد من رعيته بحقه» (جابر ٢٠٢٢، ٧٨٧).

ولقد اعترف الإسلام بالشعور المشترك بين أفراد المجتمع امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (البخاري ٢٠٠٢، ١١٣٠). وصور التماسك المجتمعي بقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (البخاري ٢٠٠٢، ١١٣٠).

وفي هذا السياق، يبين المناوي أن من لوازم الأخوة الإيمانية الصادقة أن يعزم المسلم على معونة أخيه في قضاء حاجته، وألا يتراجع عن ذلك إيماناً بأن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وهذا الحديث يدل على جوامع من جوامع الخير ينبغي على العبد أن ينافس فيها كالسعي في العمل الخيري نفعاً للناس، وتقريباً للكروب، وعوداً للمحتاجين، وستراً للمسلمين، وغيرها من الأحاديث التي تتعدد ملامح المسؤولية فيها، وتتضح تلك الملامح في المجتمع:

- الأول: شمولية النعمة ودقة المحاسبة، فقد أظهر النص النبوي أن النعمة تلحق جميع أعمال الإنسان وسعيه في الحياة الدنيا، بل صورت السنة دقة إحصاء الأعمال والمحاسبة عليها.

- الثاني: توزيع المسؤولية بين أفراد المجتمع، بحيث يُعرف كل فرد ما يُطلب منه، وما يؤخذ عليه، قال ابن دقيق العيد: "هذا حديث عظيم، جامع لأنواع كثيرة من الأبواب، وفيه فضل قضاء حوائج الناس ونفعهم وتيسيرهم، من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة لمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك" (العيد دون تاريخ، ٩٤).

هذا بالإضافة إلى كثير من الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي لا يتسع المجال لذكرها، والتي رسمت وحددت مسؤوليات الأفراد في المجتمع.

المطلب الثاني:

١. أهداف المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية

إنَّ المسؤولية الاجتماعية التي قررتها التربية الإسلامية سواء أكانت على سبيل الوجوب والإلزام أم على سبيل التطوع تتطوي على مقاصد سامية وغايات كبرى تنعكس آثارها الإيجابية على بناء المجتمع المسلم وتعزيز تماسكه واستقراره، وقد جاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدةً لهذه الأهداف من خلال منظومة متكاملة من التوجيهات الشرعية ففرضت على المسلم جملة من المسؤوليات التي لا يسعه التقريط فيها، وفي الوقت نفسه رغبته في تحمّل مسؤوليات أخرى تطوعية مقرونة بوعده الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، ويمكن إجمال أبرز أهداف المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية فيما يأتي:

١. تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، وذلك بالالتزام بمصادر التشريع الإسلامي والعمل بأوامر الله ورسوله إذ تُعدّ المسؤولية الاجتماعية مظهرًا عملياً من مظاهر الامتثال والطاعة وتجسيدا لمعنى العبودية في السلوك الفردي والجماعي.

٢. إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم بما يضمن التراحم والتعاطف والتعاون وقد شبّه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين في تلاحمهم بالجسد الواحد، قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (النيسابوري دون تاريخ، ١٩٩٩/٤، الحديث ٣٥٨٥).

٣. تربية الفرد المسلم على تحمّل المسؤولية تجاه محيطه الاجتماعي بدءاً من مسؤوليته عن نفسه ثم أسرته ثم مجتمعه بأسره انطلاقاً من مبدأ الشمول في المسؤولية الذي قرره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» (البخاري ٢٠٠٢، ٣٠٤/١، الحديث ٨٥٤).

٤. تنمية روح الجماعة في شخصية المسلم إذ إن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين، وقد أكدت السنة النبوية هذا المعنى من خلال تشبيه علاقة المؤمنين بعضهم ببعض بالبنیان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً بما يرسّخ قيم التعاون والتكامل.

٥. بناء الإنسان الصالح في ذاته وأسرته ومجتمعه وذلك عبر التزامه بأداء مسؤولياته الواجبة والتطوعية فالفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع وبصلاحه تستقيم الجماعة، وتحقق نهضتها واستقرارها.

٦. الدعوة إلى الله من خلال السلوك الاجتماعي القويم ولا سيما في التعامل مع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي عبر أداء الحقوق الاجتماعية تجاههم كحق الجار غير المسلم، وحق المواطن، والخادم، وغيرهم، بما يعكس سماحة الإسلام وعدالته وإنسانيته.

٧. تعزيز شعور أفراد المجتمع بالمسؤولية تجاه أنفسهم وتجاه مجتمعهم إذ يُعد هذا الإحساس ركناً أساسياً في انتظام الحياة الاجتماعية وبدونه تسود الفوضى ويطغى القوي على الضعيف وتختفي معاني التعاون وتغلب الأنانية والفردية بينما يسهم الوعي بالمسؤولية الاجتماعية في القضاء على هذه الظواهر السلبية.

٨. تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم من غير تمييز بين غني وفقير أو حاكم ومحكوم أو خادم ومخدوم أو على أساس اللون أو العرق، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (البخاري ٢٠٠٢، ٦/٢٥٥٠، الحديث ٦٥٥١).

٩. تنمية البعد الأخلاقي الاجتماعي في شخصية المسلم باعتباره جزءاً لا يتجزأ من البناء المتكامل للشخصية الإسلامية إذ تتداخل المسؤولية الاجتماعية مع الجوانب الانفعالية والمعرفية والذوقية والاجتماعية لتكوّن منظومة تربوية شاملة تسهم في إعداد الإنسان إعداداً متوازناً (عثمان ١٩٨٦، ٦٢).

٢. مجالات المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية وأبعادها التطبيقية

تتعدد مجالات الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية وتتشابك، ويُعدّ هذا التعدد من الخصائص الأساسية لها؛ إذ إنّ الإنسان مكلف بالقيام بالعمل الصالح، والابتعاد عن الشر في كل زمان ومكان، وبما ينسجم مع القيم الإنسانية والأخلاقية العامة. وقد تناول عدد من الباحثين مفهوم المسؤولية الاجتماعية بوصفه منظومة متكاملة تشمل جوانب متعددة من حياة الفرد، تتجلى وفق تصوراتهم في مجموعة من المجالات الرئيسة، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولاً: المسؤولية الأخلاقية

لقد أولى الإسلام الأخلاق الفاضلة مكانة عظيمة، فقد وصف الله تعالى خلق رسوله، محمد صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم، فقال تعالى: ﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾ (سورة القلم، الآية ٤)، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار الناس أحسنهم أخلاقاً بقوله: "إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً" (البخاري ٢٠٠٢، ٢/٢٢٤٥، الحديث ٥٦٨٨)، وهذان الشاهدان يكفيان في بيان عظم الأخلاق في الإسلام.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المربي الأول أسمى قدوة في مكارم الأخلاق وأكمل نموذج يُحتذى به في السلوك التربوي والاجتماعي فقد تميّز بأحسن الأخلاق وأكملها وقد شهد له بذلك أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً» (البخاري ٢٠٠٢، ٣/١٠١٨، الحديث ٢٦١٦)، وأنس رضي الله

عنه من أكثر الصحابة معرفةً بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ خدمه عشر سنوات، فكان قريباً منه، ملازماً له، كثير المعاشرة والاحتكاك، مما أتاح له الوقوف على دقيق شمائله وعظيم خصاله.

وفيما يأتي جملة من الأبعاد الأخلاقية للمسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية، وهي لا تُذكر على سبيل الحصر، وإنما بوصفها نماذج وشواهد مضيئة من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم:

١. أداء الأمانة

تُعَدّ الأمانة في الإسلام مسؤولية عظيمة يتحملها الفرد المسلم وهي من أبرز القيم التربوية التي أكدت عليها مصادر التربية الإسلامية وحثّت المسلم على التحلي بها قولاً وعملاً في جميع معاملاته سواء في علاقته بالله سبحانه وتعالى أو في تعامله مع أفراد مجتمعه، وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم هذه القيمة بأسمى صورها فكان مثلاً يُحتذى في أداء الأمانة والوفاء بها حتى لُقّب قبل البعثة وبعدها بـ الصادق الأمين، ولِعَظُم شأن الأمانة وثقل تبعاتها أخبر القرآن الكريم أن السماوات والأرض والجبال أبت أن تحملها وأشفت منها بينما تحملها الإنسان مع ما فيها من مسؤولية عظيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٢)، وتُبرز هذه الآية الكريمة المكانة العظمى للأمانة بوصفها ركيزة أساسية في بناء المسؤولية الاجتماعية، وعنصرًا جوهريًا في تقويم سلوك الفرد والمجتمع على السواء.

إنّ أداء مسؤولية الأمانة على الوجه المطلوب يُعدّ من الأعمال العظيمة التي تُعين صاحبها وتُثبتته على الصراط المستقيم يوم القيامة وتكون سببًا في نجاته بإذن الله تعالى، وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم عِظَم شأن الأمانة وخطر التفريط فيها من خلال تصويره لموقف العبور على الصراط، فقال صلى الله عليه وسلم: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّجْمُ فَتَقُومَانِ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ يَمُرُّ كَمَرِ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِ

الطير، وشَدَّ الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيُّكم صلى الله عليه وسلم قائمٌ على الصراط يقول: ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتى تعجز أعمالُ العباد، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيع السيرَ إلا زحفاً، قال: وفي حافَتَي الصراطِ كلاليبُ مُعلَّقة، مأمورةٌ بأخذِ مَنْ أُمِرَتْ به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ في النار، والذي نفسُ أبي هريرة بيده، إنَّ قعرَ جهنم لسبعون خريفاً» (النيسابوري دون تاريخ، ١٨٦/٢، الحديث ١٩٥).

٢. الإصلاح بين الناس

يحظى الإصلاح بين الناس بمكانة عظيمة في الإسلام إذ أمر الله سبحانه وتعالى به عباده وجعله من أجلِّ القربات وأعظم الأعمال أثراً في حفظ تماسك المجتمع واستقراره، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم علو شأن هذه المسؤولية الاجتماعية حتى رخص في استعمال ما يُظنّ كذباً إذا كان القصد منه الإصلاح وجمع الكلمة، فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، فينمي خيراً أو يقول خيراً» (البخاري ٢٠٠٢، ١٨٣/٣، الحديث ٢٦٩٢).

وزاد مسلم في روايته: «ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها» (النيسابوري دون تاريخ، ٢٠١١/٤، الحديث ٢٦٠٥).

يُعدّ الإصلاح بين الناس من أعظم صور الصدقة التي يقدمها المسلم لنفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى وهو عملٌ متجدّد مطلوب من المسلم في كل يوم، لما له من أثر بالغ في تهذيب النفوس وإشاعة السلم والوئام داخل المجتمع وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بياناً واضحاً حين أخبر أن وجوه الصدقة لا تقتصر على المال، بل تشمل كل عمل نافع يعود بالخير على الفرد والمجتمع، فقال صلى الله عليه وسلم: «كلُّ سَلامى من الناس عليه صدقة، كلّ يومٍ تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين صدقة، ويُعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى

الصلاة صدقة، ويُعطى الأذى عن الطريق صدقة» (النيسابوري دون تاريخ، ٦٩٩/٢، الحديث ١٠٠٩).

ويُبرز هذا الحديث الشريف أن الإصلاح بين المتخاصمين، وإقامة العدل بينهم، يُعدّ من أعظم القرب وأجلّ الصدقات، لما ينطوي عليه من تحقيق للمصلحة العامة، وحفظ لوحدة المجتمع، وترسيخ لقيم التعاون والتراحم التي يقوم عليها البناء الاجتماعي في الإسلام. **ثانياً: مسؤولية الفرد نحو نفسه (المسؤولية الذاتية الفردية)**

إنّ الله تعالى قد كرّم الإنسان ورفع قدره على جميع الخلائق، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٧٠)، وكان من أول مظاهر هذا التكريم المسؤولية الشخصية وهي مسؤولية الفرد عن نفسه وبدنه، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: «نفسك مطيّتك فارفق بها»، وفيه يوجب الإسلام على الفرد الرفق بنفسه بحيث لا يحملها ما لا تطيق، ويعالجها بالراحة والدواء إذا أصابها ضيق أو زال بها مرض، وذلك ليتمكّن من الوصول إلى هدف وجوده في الحياة، وهو طاعة الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المعنى ورد أيضاً عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله: «إنّ لبدنك عليك حقاً» (البخاري ٢٠٠٢، ١٥٣٣). فعلى الفرد توفير ما تحتاجه نفسه من الطعام والشراب، والسكن، واللباس، وعليه أيضاً ألاّ يبالغ بالعمل فوق الطاقة والسير المضني، وألاّ يزجّ به في مهالك الضياع والهلاك، وأن يحافظ عليه بحيث يبقى قوياً صحيحاً سليماً من العيوب والأمراض.

ثالثاً: المسؤولية تجاه الأسرة

أدرك الإسلام من خلال تشريعاته الحكيمة المكانة المحورية للأسرة ودورها الجوهرية في تربية الإنسان المسلم الذي يُعدّ الهدف الأساس للتربية الإسلامية ومحورها الرئيس ومن هذا المنطلق جعل الإسلام تربية الطفل تربيةً صحيحةً قائمة على القيم الإسلامية مسؤولية دينية تقع على عاتق الأسرة مجتمعةً، الأب والأم معاً، قبل أن تكون مسؤولية اجتماعية ويتحقق القيام بهذه المسؤولية من خلال العناية بحسن تربية الأبناء وتأديبهم، وهو ما جاء واضحاً في التوجيهين القرآني والنبوي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

وَقُوِّدَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿٦﴾ (سورة التحريم، الآية ٦)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

رابعاً: المسؤولية تجاه الوطن

تقوم المسؤولية الاجتماعية على أساس أخلاقي راسخ مفاده أن لكل كيان داخل المجتمع دوراً يؤديه وخدمةً يقدمها من أجل الصالح العام ومن هذا المنطلق تكتسب المسؤولية الاجتماعية صفة الإلزام إذ يُطلب من كل فرد أن ينهض بالواجبات التي يتوقعها منه المجتمع في سلوكه وأدائه لدورٍ معيّن فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه فيقوى أو يضعف، ويصلح أو يفسد تبعاً لصلاح المجتمع أو فسادهِ ولا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الآخرين بل لا بد له من التفاعل والاختلاط بمن حوله الأمر الذي يجعله إما مسؤولاً عن بعض أفراد المجتمع أو خاضعاً لمسؤولية غيره.

وحين جاء الإسلام، سعى إلى بناء مجتمع متكامل يقوم فيه كل فرد بدوره على أكمل وجه وجعل من أسس هذا البناء أن يُربّي الإنسان أبناءه على تحمّل المسؤولية ولهذا خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة جمعاء خطباً عاماً يشمل الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والرجال والنساء، مؤكداً أن على كل فرد أن يلتزم بإصلاح ما وُكِّلَ إليه، وأن يقوم بما هو تحت نظره من شؤون بالعدل، وأن يسعى إلى تحقيق المصالح في دينه ودنياه، كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ولما كانت هذه المسؤولية العامة بحاجة إلى إطارٍ تنشأ فيه وتنمو خصّ الإسلام الأسرة بعناية خاصة لما تضمه من أبٍ وأم، إذ تُعدّ النواة الأولى للمجتمع؛ ففي أحضانها يولد الفرد، وفي كنفها ينشأ، ويتغذى من أخلاقها، ويتعرّع في ظل رعايتها وتوجيهها، ويشعر بالأمن والاستقرار. وبناءً على هذه المسؤولية الشاملة التي أكدها الرسول صلى الله عليه وسلم مراراً، فإن الواجب يقتضي ألا يتخلف أي فرد في المجتمع عن ميدان عمله متى كان مؤهلاً له، وألا يتذرع بأي عذر أو يتحاشى القيام بواجبه خوفاً من تحمّل المسؤولية، بل عليه أن يدرك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجبها عليه، وقد تكفّل له بالعون والتيسير، كما قال

تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (سورة الليل، الآية ٥-٧)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له».

وقد اتجه الإسلام إلى بناء الفرد بوصفه جزءاً لا ينفصل عن الجماعة، جامعاً بين الفردية والوحدة الاجتماعية، فحرص على صياغة الشخصية الفردية صياغةً اجتماعية، بحيث يحمل الفرد في داخله بذرة المجتمع، وتغدو حياته صورةً مصغرةً لبنيناه. وبهذا تذوب الثنائية المصطنعة بين فردية الفرد وجماعية الجماعة، التي كثيراً ما تعمق الانقسام داخل المجتمع. وكان العلاج الإسلامي الناجع للصراع بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة هو نقل المجتمع إلى داخل الفرد، حتى يصبح الفرد في ذاته كياناً مسؤولاً داخل الدولة، وذلك من خلال الربط العضوي بين العبادة والعمل الديني، والمزج بين حق الله وحق الناس، بحيث تصبح الآخرة هدفاً من أهداف الدنيا، وتغدو الدنيا وسيلةً لبلوغ الآخرة. وبهذا الأسلوب تتلاشى الحواجز التي تفصل بين القيم الإنسانية العليا وواقع التطبيق العملي.

الخاتمة

توصل هذا البحث إلى أن مفهوم المسؤولية الاجتماعية في السنة النبوية ليس مفهوماً طارئاً أو ثانوياً بل هو مكون أصيل من مكونات المنظومة التشريعية والتربوية في الإسلام وقد جاءت الجوامع الحديثية لتقدم هذا المفهوم في صورة متكاملة تجمع بين البعد العقدي والأخلاقي والاجتماعي وتربط بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الجماعة ربطاً عضوياً محكماً.

وقد كشفت الدراسة النصية للأحاديث النبوية أن المسؤولية الاجتماعية في السنة تقوم على أسس راسخة من أبرزها: مبدأ الاستخلاف، وشمولية التكليف، ودقة المحاسبة، والتكافل الاجتماعي، والعدل، وحفظ الحقوق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطرح المسؤولية الاجتماعية بوصفها توجيهاً أخلاقياً مجرداً، بل جعلها واجباً شرعياً مرتبطاً بالإيمان، ومقروناً بالجزاء في الدنيا والآخرة.

كما أظهرت الدراسة أن الجوامع الحديثية تزخر بنصوص تعالج شؤون المجتمع في مختلف مستوياته، بدءاً من مسؤولية الإنسان عن نفسه، مروراً بأسرته، ووصولاً إلى المجتمع

والوطن والإنسانية جمعاء، مما يؤكد شمولية الرؤية الإسلامية وقدرتها على بناء مجتمع متماسك قائم على التعاون والتراحم وتحمل المسؤولية.

وفي ضوء ما يشهده الواقع المعاصر من تراجع في القيم الاجتماعية يبرز هذا البحث أهمية العودة إلى السنة النبوية واستلهام توجيهاتها في ترسيخ ثقافة المسؤولية الاجتماعية، وتفعيلها في الحياة الفردية والمؤسسية، بما يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وبناء الإنسان الصالح والمجتمع المتوازن.

المراجع

القرآن الكريم.

١. إبراهيم أنيس وآخرون. (١٩٤٢) المعجم الوسيط. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.
٢. احمد سعيد عثمان (١٩٨٦) المسؤولية الاجتماعية الشخصية المسلمة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
٣. تقي الدين بن دقيق العيد (دون تاريخ) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. القاهرة: تحقيق : أحمد محمد شاكر . مطبعة السنة المحمدية.
٤. محمد الحسيني. (دون تاريخ) تاج العروس من جواهر القاموس .بيروت : دار الهداية ، دون تاريخ.
٥. محمد بن إسماعيل البخاري . (٢٠٠٢) صحيح البخاري .بيروت : دار ابن كثير.
٦. محمد محسن جابر (٢٠٢٢) المسؤولية الاجتماعية من المنظور التربوي الإسلامي . القاهرة : جامعة الأزهر، كلية التربية بالقاهرة، مجلة التربية، العدد (١٩٤).
٧. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (دون تاريخ) صحيح مسلم .بيروت : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
٨. مقداد يالجن. (١٩٧٧) التربية الأخلاقية الإسلامية . القاهرة : مكتبة الخانجي.